بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق النساء، وفاطرهن على ما حسن وساء، بما اشتملن عليه من عفة وأهواء وهداية وإغـواء، فهن محل تباين الأشياء، ومـجمع اختلاف الأزياء، فى الأموات والإحـياء، والصلاة والسلام على سـيدنا محمـد أفضل الأنبـياء، الصـادق الأنبـاء الطيب البنات والأبناء، ابن عـبد الله الأغـر وآمنة الغـراء، وأبى البـضعـة البـتـول فاطمـة الزهراء. وبعل الحـصـائف، الكرام العفائف، خديجة الكبرى، وعائشـة الصديقة الطهرى، وغيرهما من الأزواج الطاهرات، أمـهات المؤمنـين والمؤمنات صغـارًا وكـبارًا. (أزواجًـا مسلمـات مؤمنات قانتـات تئبات عابدات سائحات صائمـات ثيبات وأبكارا) ورضى الله تبارك وتعـالى عن جيع آل بيـته الطاهرات، وكـافة أصـحابة الطيبـين، إنهم (التائبون العـابدون الحامدون السائحـون - الصائمون - الراكعـون الساجدون الآمـرون بالمعروف والناهـون عن المنكر والحافظون لحـدود الله وبشـر المؤمنين (الذين يسمعون الـقول فيتبعون أحـسنه) ولا يعروهم عن العمل به ذهول ولا غفلة ولا سنة (أولئك هم المفلحون) الناجحون الرابحون.

أما بعد: فهذا كتاب جمعت فيه بعض ما جاء فى النساء من ثناء ونثاء، ومدح وهجاء، وأخذ ورد، وحل وعقد، وفصل ووصل، وبخل وبذل، وكل ما له علاقة بهن، من تعليم لواجبهن، وتبيين لحالتهن، مما لم يجمع مثله فى كتـاب، ولا طرق له باب، على كثرة مـا أنف بهذا الخصـوص، من أصداف وفصوص، وأفكار ونصـوص. وإنى أقسم بالله وآياته، ومشعر الحج ومـيقاته إنه خير كتاب أخرجته يد العلم إلى منفـعة النساء وهدايتهن، لما فيه سعادتهن وسلامتهن فى دنياهن وأخرتهن. ما قرأته أمرأة أو قرئ لها، إلا انتفعت به أو نفعهـا ولا عملت بما فيه إلا كـانت من المرضيات المقبـولات، عند الله تعالى

وعند العاقلين والعاقلات. لأن كل ما فيه مؤيد بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وعلم العلماء، وحكم الحكماء، وأقوال الأدباء، وأفكار الشعراء، وفلسفة الفلاسفة وثمرات تجاريب أهل المعرفة، لا ترى فيه عوجًا ولا أمتًا، ولا افتراء ولا بهتا كما أنه ليس بحاجة إلى تقريظ مقرظ ومدح مادح، وإن كان لا يخلو من تشنيع مشنع وقدح قادح. سنة الله فى خلقه، بحقه وبغير حقه. وما على فإن ما ذكرت فيه، يغنيه عن المدح والإطراء ويكفيه. مع هذا فإنى أعوذ بالله من الافتتان بإطراء المادح وإغضاء المسامح. كما أعوذ به من إزراء القادح، وهتك الفاضح. ولست أدعى فى هذا المجال، العصمة والكمال. كلا فإنهما لله وحده، ولرسله عليهم الصلاة والسلام بعده. ولا تزكية النفس فيما ألفت وصنفت، ففوق كل ذى علم عليم أكثر مما عرفت. وإنما أقول ذلك تحدثًا بنعمة الله، جل جلاله وعم نواله ونداه، والقصد من تأليفه، وتبويبه وتصنيفه، تبصير أخواتنا النساء بأمرهن، وتعريفهن بقدورهن، وإعلامهن بأن لهن من الحقوق مثل ما عليهن، فلا يتعدين حدود ولا يفرطن فى معرفة ما لهن، ولا يكن مسلطات على الرجال، ولا أسيرات لهن بغير اعتدال. ولا يغترون بمن يزخرف لهن القول تغريرًا، ليوقعهن بما يقبح عاجلا ويفضح مصيرًا. فإنهن رقيقات القلوب، دقيقات الجيوب، يصدقن كل ما يقال، ويحسبن كل شجرة فى ظلها يقال. فتخرج دررهن من أصداف الصيانة والعفاف، ويزاحمن الرجال من كل الجهات والأطراف والغوانى أفئدتهن هواء، ومن التبصر فى العواقب خلاء، يغرهن الثناء، ويخدع الواحدة منهن قول أنت حسناء، وقد لا تكون من ذوات الحسن، أو إنها لا يقام لحسنها وزن، وإنما زينها الشيطان فى عين من يراها، ووراء الأكمة ما وراها ولذلك كان من واجب كل ذى مروءة ودين، أن يتلافى الشر القاطع للوتين، باجتناب

كل ما يعد قوله عـيبًا وفعله عارًا، عملا بقولـه تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسـكم وأهليكم نارًا) وبنصيـحة يسـديها كل فـرد من أفراد عقـلاء الجنس الشريف - الرجـال - إلى كل واحدة من آحاد النوع الـلطيف - النساء - كل بحسب استطاعته، وبسط علمـه وسعته، بادئًا أولا بأهله وذوى رحمة، ومن ينفذ عليـهم محكم كلمه. ضـمن دائرة الشرع الذى هو بالحكمة مـوصوف، عملا بحديث "من أمر بالمعروف فلـيكن أمره بمعروف"* رواه البيهقى - عن عبد الله بن عمر - مبتغيًا بذلك وجه الله تعالى، وخدمة الأمة الإسلامية نساء ورجـالا. ليكون له من الحق جل وعـلا عظيم الأجـر، ومن الخلق جـمـيل الذكر. وهذا يقـتضيـه شرع الله الذى أنزله على نبـيه، من حيث أتبـاع أمره واجتناب نهيه، فلا يقال طارت الغيرة من الرءوس، أو أن فلانًا قلبه منكوس. وقد نرى ذكور العـجماوات على إناسهـا تغار، إلا الخنازير ومن هو من هذا العيار. وأى عيب فى الناس هو أصبح من عيب إعراضهم، عن حفظ شرفهم وصون أعراضهم. وهما من السـتة التى حفظها على كل مسلم وجب، الدين والنفس والعـرض والعقل والمال والنـسب. وقد جـعلت كتـابى هذا تبصـرة وذكرى، وإنذارًا وبشرى، أولا لزوجتى وابنتى، وأهل بيتى وعترتى، ثم لكل فـرد وفـئة، من كل رجـل وامرأة. لا سـيـمـا أرباب الأزواج، وأهل النسل والنتـاج. كى لا يظن ظان أن القـصـد من التزوج أن تكـون الزوجة غـلاف بضعه. وفريسة شـهوته وطبعه كما قال قائل فى امراة لـه ماتت، وأمنيته منها فاتت:

وكنت فريستى وغلاف بضعى فأضحى البضع ليس له غلاف

فلا ينظر فى عاجل أمرها، ولا آجل عمرها، إلا مما تحكم عليه شهوته، وتسوقه إليـه غلمته فهى عنده غادية رائحـة، مثل البهيمة السـارحة. أو كمن

يتزوج بها لمطمع، فلا يبالى بما تصنع، وقد تذهب محمولة وتعود حامله، وهو غافل أو تغافل وهى غير غافلة. وما المرأة إلا مثل قطعة الشمع فى يد الرجل، قابلة للانطباع لكل شكل وفيها الاستعداد التام للخير والشر، والقابلية الزائدة للنفع والضر، قال رسول الله ﷺ - وكفى بقوله إيمانًا وتصديقًا - "فجور المرأة الفاجرة كفجور ألف فاجر، وبر المرأة الصالحة كعمل سبعين صديقًا" - رواه أبو الشيخ بن حبان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما - فلينتبه الرجل لحسن القيام على من يعول، وليضرب بعرض الحائط كل سفسطة وفضول، وليعلم أنه راع وكل راع مسئول، وكل ما يرى فى النساء من قصور أو اعوجاج أو نقص أو خداع، فاللوم والتبعة فيه على ولاة أمورهن، من آباء أو أبناء أو إخوة أو أزواج:

وما الزوج إلا حيث يجعل عرسه كما هو أيضا حيث يجعل نفسه

ومن أراد أن ينعم حاله، ويرتاح باله، ويلتذ بما به يتمتع فلتكن أطوار أهله بمرأى منه ومسمع، فيقرهن على ما حسن وطاب، ويصدهن عما فيه اللوم والعتاب، ولا يكن ملقى الآذان، مستسلم الجنان. لشاعر يقول، ما لا تقبله العقول:

كل الليالى ليلة القدر اعتبر وكل ما تلقاه ظنه الخضر

كلا فإن هذا من النزهات، وسيدنا الخضر عليه السلام مات من زمن طويل وفات. وخيل الرهان فى حلبة الاختبار أسبق، ولسان التجرة من كل قول بعد قول الله ورسوله أصدق. ومن أطيب حالا، وأنعم بالا، ممن تكون زوجته معه صادقة، ولطبعه موافقة، ولقوله سمعية، ولامرأة مطيعة، لا تبغيه خيانة فى نفسها ولا تكتمه شيئًا من غمها وأنسها، وهو لحسن مسراها معه مقدر، وعليها وحدها مقتصر. وجميع ما فى هذا الكتاب من الأحاديث

مأخـوذ من تفسير الدر المنثـور ومن الجامع الصغـير وكلاهما للحـافظ جلال الدين السيـوطى المتوفى سنة ٩١١ ومن كـتاب كنز العمـال لعلى علاء الدين البرها نفـورى الهندى المتوفى قتـلا سنة ٩٧٥ وهو فى الأصل الجامع الكبـير للجلال السيوطـى إلا ما عزوته إلى مأخذه من الكتب وفيـه الصحيح والحسن والضعيف. وأرجو أن لا يكون فيه حديث موضوع إن شاء الله تعالى، وعلى فرض أنه وجد فإننى أبرأ إلى الله تعالى منه حـيث لم أتعمد نقله وإنما العهدة والتبعة علة من ذكره وهو يعلم أنه موضوع. وسميت كتابى هذا (مرآة النساء) وليس للمرأة عن المرآة استغناء، والله يلهمنا رشدنا، وينعم بوسائل الإخلاص قصدنا، فما كان لله فهو المتصل، وما كان لغيره لهو المنفصل.

اللهم اصرفنا عن مـذاهب الشهوات، وارشـدنا فى غياهب الشبـهات، وأطلق سـراحنا من قـيد الأهواء، وحـررنا واعتـقنا من رق الأغـواء، وبنور وجهك اهـدنا، كما ربيـتنا فى مهـدنا، وابعثنـا من فراش الغفـلة منتبـهين، واجعلنا مـن الصالحين أو بهم مـتشـبهين، وهب لنا من أواجنـا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمـتقين إماما، ومتعنا لمـا أنعمت به علينا من نعمك الظاهرة والباطنة تمامًا ودوامًا، ولقنا فى هذه الحياة نضرة وفى الممات سلامًا، واصرف عنا عذاب جهنم (إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرًا ومقاما) وحسبنا الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.